



الأبعاد الدلالية لآليات المصطلح الحجائي

The mechanisms of the argument term in the persuasive process

جيلالي جلول

جامعة ابن خلدون، تيارت (الجزائر)، JELOJILALI@GMAIL.COM

ملخص:

إن الحديث عن المصطلح الحجائي وبروزه في النصوص له أبعاد دلالية، تكشف لنا التقارب الحاصل بين الحجج والبرهان والإقناع، وفي خضم هذا الطرح ارتأيت في هذا البحث إلى دراسة: آليات المصطلح الحجائي ودورها في العملية الإقناعية لتحديد مقصدية النص. وفي هذه الدراسة أوجه كثيرة ومتفرعة يصعب الإحاطة وجمعها في عمل واحد لذلك حاولت حصر العمل في جانب واحد بذكر بعض الآليات الحجائية، صيغة الإشكالية على النحو الآتي: ما آليات المصطلح الحجائي؟ وما هي الأبعاد الدلالية الناتجة عن آليات المصطلح الحجائي للنصوص؟ وهل الأبعاد الدلالية الناتجة هي مقصدية النص المراد الوصول لها؟ وهل الآليات لها أثر إقناعي وبعد فكري ومنهج متبع؟. ويهدف بحثنا إلى استنطاق آليات المصطلح الحجائي للنصوص وتحديد الدلالة منها وإبراز العلاقة بين النص والممارسة الحجائية فتعرضنا لمفهوم الحجج بين اللغة والاصطلاح ثم عرجنا على علاقة الحجج بالعملية الإقناعية وبعد ذلك المنهج المتبع للإقناع وأخيرا علاقة الحجج بالتداولية واللسانيات وبالبلغة، ومن هنا حاولت الإجابة بمنهجية معتمداً على العناصر الآتية: مقدمة: تمهيد للموضوع، الإشكالية، تعريف الحجج لغة واصطلاحاً مبرزاً علاقاته بمصطلحات أخرى كالاستدلال والبرهنة والإقناع، كاشفاً الآليات ودورها في العملية الإقناعية. ثم ختمته بخاتمة: فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

كلمات مفتاحية: الحجج، الإقناع، البراهين، الدلالة، آليات، المصطلح.

Summary:

Talking about the term "argumentative" in the religious science, to detect its dimensions in order to define meaning, reveals the convergence between argumentation, proof and persuasion, so in the core of this proposal, I suggest to

المؤلف المرسل: جيلالي جلول، الإيميل: jeloljilali@gmail.com

study: The mechanisms of the term “argumentative” in the persuasive process. In this study, there are many branched aspects which are hard to cover and collect in one research paper, so I have attempted to limit it to one side by mentioning some of the argumentative mechanisms. The problematic’s form is as follows: What are the meaning-related dimensions resulting from the term “argumentative”? Does it have a persuasive impact on developing the cognitive structure on the receiver? Our research aims to interrogate the mechanisms of the term “argumentative” and determine its implications and its relations to argumentative practices that take place in the form of debate or controversy. Hence I tried to answer a methodology based on the following elements: Introduction: Paving the topic through the problematic. Then moved to: the definition of argumentation literally and idiomatically, by highlighting its ties to other terms such as “inference”, “proof”, and “persuasion”, as well as revealing the mechanisms and their role in the persuasive process. Then I concluded by mentioning: the most important results obtained it.

Keywords: Argumentation. Persuasion. Proof. Indication. mechanisms. Term

1. مقدمة:

تعتبر آليات المصطلح الحجاجي من أهم العمليات الإقناعية التي لها أبعاد دلالية خصوصاً في الرسالة التخاطبية وتأثيرها الكبير على المتلقي، ذلك قصد تنشيطه وجعله متنبهاً للأحداث والوقائع المعرفية، والمعارف الهادفة تتجسد بالتطبيق، وينبغي تتبعها وممارستها في جميع الاتجاهات والتيارات الفكرية، لأن فيها تأثيرات وتجليات على القارئ ليتفاعل معها،

فالمتأمل للآليات وعملياتها الإقناعية يجد أنها تخاطب العقل، وبفضلها تتشكل شحنات دلالية فكرية متناسقة بين المتخاطبين، فما آليات المصطلح الحجاجي؟ ومادورها في العملية الإقناعية؟

الهدف هو: إبراز دور الحجاج في العملية الإقناعية، ووضع قاعدة فكرية مضبوطة في تحديد المقصدية.

وصولا إلى الأهداف المرجوة اعتمدت المنهجية الآتية: مقدمة، الحجاج بين اللغة والاصطلاح، علاقة الحجاج بالعملية الإقناعية، التكاملية، الوسائل المتبعة في العملية الإقناعية، الاتساق المعجمي، الحوار المعرفي للحجاج، الخاتمة

2- الحجاج بين اللغة الاصطلاح:

يتضح الحجاج بمفاهيمه اللغوية بأنه تقديم الحجة والدليل والبرهنة فـ«حَجَّ كل من قصد شيئاً فقد حجه»¹ وتعني أيضاً «الحُجَّة، بالضم: البرهان»². وكذلك تعني «المَحَجَّة: الطريقة الواضحة، وهي الجادة لكونها غالبية على السابلة ولهذا سميت سراطاً ولقماً لأنها تسرط السابلة وتلتقمها والسابلة أبناء السبيل المختلفة في الطرقات»³ المقصود بالحجاج هنا قوة البرهان في الخطاب فهو المنهج المتبع لتحديد الصورة في خطاب ممنهج. وقد ورد في معجم المصطلحات النحوية والصرفية لمحمد سمير نجيب اللبدي بأنه «الاستدلال بأقوال من يحتج بهم في مجال اللغة والنحو وهو يرادف في هذا الاستشهاد ويقابله التمثيل»⁴

وجاء في لسان العرب لابن منظور في مادة حجج: «حجج: الحجج: القصد، حَجَّ إلينا فلان أي قَدِمَ وَحَجَّه يُحِجُّه حَجًّا قصده، وحججت فلاناً واعتمدته أي قصدته، ورجل محجوج أي مقصود وقد حَجَّ بنو فلان فلاناً إذا أطالوا الاختلاف إليه»⁵ والمقصود بالمحجوج «وصف القول أو الرأي إذا ردا بالحجة وثبت خلافيهما»⁶ أي الذي يؤكد حججه وبراهينه يتأكد رأيه.

وفي القرآن الكريم نجد أن هذه اللفظة قد وردت في عدة آيات:

قال الله تعالى: ﴿لِيَحْجُوكُم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُم أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (76) ﴿7﴾ [البقرة، 76]

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (20) ﴿8﴾ [آل عمران، 20]

قال الله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (80) ﴿9﴾ [الأنعام، 80]

أما اصطلاحاً الحجاج فيعني «ما ثبت به الدعوى من حيث إفادته للبيان، يسعى بينة ومن حيث الغلبة به على القسم يسعى حجة»⁷ ونرصد من هذا التعريف أن للحجاج وظيفة يريد رصدها وتأكيدا لتحقيق الفائدة للمتلقى.

كما يمكن القول «أن الحجاج في الدراسات الحجاجية على ضربين: ضرب أنت فيه لا تبرح حدود المنطق فهو ضيق المجال ومرادف للبرهنة والاستدلال إذ هو يُعنى بتتبع الجانب الاستدلالي في المحاجة. وضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل

التقنيات البيانية الباعثة على إذعان السامع أو القارئ⁸ فالمعنى الأول يقصد به أنه في طريق محدود يتتبع الحجة أو دليل لأنه خاص في مجال واحد، أما المعنى الثاني فهو يعتمد على جميع الآليات وتحقيقها للوصول إلى المقصد الصحيح وهذا الأخير يمكن أن يكتشف من خلاله آليات جديدة، فالحجاج هو الحال الذي يدل على البرهنة والاستدلال والمحااجة بفضل وسائل يعتمد عليها المحاجي ليقنع السامع والقارئ.

3- علاقة الحجاج بالعملية الإقناعية:

وتكمن هذه العلاقة بالعمليات المرتبطة بالحجاج لإتمام الإقناع وبروز الحجة:

3-1- الاستدلال:

نجد توافق بين الاستدلال والحجاج، كل منهما يعتمد على الآخر باعتبار الاستدلال «هو استنتاج قضية مجهولة من قضية أو عدة قضايا معلومة. أو: هو التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بملاحظة حكم تصديقي معلوم، أو بملاحظة حكمين فأكثر من الأحكام التصديقية المعلومة. هو إذاً عملية عقلية منطقية ينتقل فيها الباحث من قضية أو عدة قضايا إلى قضية أخرى تستخلص منها مباشرة دون اللجوء إلى التجربة. والأصل في القضايا المستنتجة أن تكون جديدة بالنسبة إلى القضايا التي دلت عليها، وإلا لم يكن معنى للاستدلال، ولكن قد تكون غير ذلك إذا كانت طريقاً لإقامة الحجة على الغير.⁹ يتعامل معها المتلقي وتتم العملية الإقناعية ويصدر إثبات القضية وإقناع الآخر بطرق عقلية متعاقبة على القضايا الأخرى.

3-2- البرهنة:

وتكمن العلاقة الوثيقة بين الأسلوب البرهاني وإيصال المعلومة قصد تحقيق الغايات والأهداف، الخطاب البرهاني له «الدور الأكبر في تطعيم الحجاج بالأساليب الأدبية البلاغية، لأنه (من جهة) يعتبر ذا سمة فنية، ومن جهة ثانية أقرب إلى التربية education منه إلى الدعاية propaganda؛ حين يكون موضوع التربية مما يقر به الجمهور ويعتقده ويؤمن به، إن موضوع الدعاية يكون جديداً على أذهان الجمهور ... والنوع البرهاني غايته مجرد إنشاء الاستعداد للعمل، شأنه الخطاب التربوي.¹⁰ إن الأسلوب البلاغي البديع يلقي مستعمله الأسس والضوابط ويكون ممنهج علمياً سائراً بها إلى الوجهة الصحيحة يعتمد عليها المؤطرون في تقديم الحجج وفق أساليب أدبية بلاغية، وفي إطار منهجي تربوي.

3-3- الإقناع:

ولكل مرسل له غاية وهدف يريد أن يصل إليها وهذا لا يتحقق إلا إذا كانت له قوة إقناعية تؤثر في المتلقي في حد ذاته وهاته القوة الإقناعية تكون بـ«اتصال مكتوب أو شفوي أو سمعي أو بصري يهدف بشكل محدد إلى التأثير على الاتجاهات والاعتقادات أو السلوك كما أنه القوة التي تستخدم لتجعل شخصاً يقوم بعمل عن طريق النصح والحجة والمنطق»¹¹ الجهود تتضافر في الملكة العقلية لإيصال المعنى الصحيح، رغم اختلاف الوسائل إلى أن الطريقة صحيحة.

3- التكاملية:

3-1- الحجج والبرهنة:

الرؤى تتضح أن للحجاج والبرهنة كل منهما مكمل للآخر، رغم اختلافهما «الاختلاف بين الحجج والبرهنة أمراً من قبيل المسلّمات. أما البرهنة فهي استنباط يهدف إلى الاستدلال على صدقية النتيجة أو احتماليتها القابلة للاحتساب، وذلك انطلاقاً من المقدمات المعتبرة صادقة أو محتملة. وفي تقابل مع البرهنة التي يمكن أن تتخذ شكل حساب، الحجج يُطلب به الإثبات أو الإقناع. ولا يتم توجيهه إلا في سياق نفسي اجتماعي. وكانت البرهنة تقع بطريقة مجردة في استقلال عن كل سياق عدا سياق النظام وكانت صحيحة أو خاطئة، مطابقة لقواعد الاستدلال في النظام أو غير مطابقة، والحجج ينهض على حجج مفيدة أو غير مفيدة، قوية أو ضعيفة، موافقة للمخاطب الذي تتوجه إليه. ولا يقوم التفكير الحجاجي على حقائق عامة ولكن على آراء تهتم بأطروحات من كل طائفة: مجال تطبيق نظرية الحجج يتجاوز مجال تطبيق نظرية البرهنة أيما تجاوز، ذلك أنّ الحاجات تنهض على كلّ ما يمكن أن يكون موضوع إبداء رأي أو إصدار حكم قيمة أو حكم واقع أو موافقة نظرية أو مناسبة قرار. توفر البرهنة أدلة ضرورية، أما الحجج فيقدم أدلة لصالح أطروحة محددة أو ضدها»¹²

ورغم الاختلاف ندرك أن «تحليل التقنيات الخطابية التي تسمح بإحداث ميل السامع إلى الأطروحات التي نعرضها على مسامعه أو التي تسمح بتعزيز ذلك الميل»¹³ وللبرهنة أسس وللحجاج أسس فالبرهنة تقوم على الاحتمال وحتمية النتيجة، أما الحجج فهو يقوم على الإثبات والإقناع على قواعد مضبوطة دون مراعاة الجوانب النفسية، ومن

جانب آخر نجد أن المتلقي مدرك لهاته الأمور فيستخدمها حتى تتم العملية الإدراكية للمتلقى،

2-3- تكاملية الإفحام والإقناع:

النظرية تتجلى في «التنوع الشديد للمخاطبين الذين يتوجه لهم خطاب (أو مكتوب) حجاجي. هؤلاء المخاطبون، الذين يتوجه نحوهم الحجاج يتراوحون كمياً من فرد واحد إلى البشرية جمعاء، ويتراوحون كيفياً من مجموعة من العوام المجتمعين في الساحة العامة إلى الفرق الدقيقة التخصص والعالية الكفاءة. أما في المناجاة. فثمة مخاطب من صنف خاص، إذ يوازن المتكلم بين الانتصار لشيء أو معارضته، جاعلاً نفسه كائناً مضاعفاً، إذ يتخذ المتكلم ذاته محاكياً له. وثمة منفعة فلسفية لا تمارى في اعتبار أن ما يدعوه الفلاسفة استعمالاً للعقل إنما يكون بحسب المخاطب (أي أن استعمال العقل ليس أمراً ذاتياً خالصاً، بل هو يستحضر الآخر/ المخاطب ويقرأ له حساباً حتى في العمليات الذهنية)»¹⁴ والمقصود أن العملية الإقناعية والإفحامية تختلف من شخص لآخر وذلك حسب الكفاءة والمجتمع الذي يعيش فيه، ومن هنا يتجلى أن كل فرد ينتصر ويعارض أمراً معيناً باعتباره ضمن المجتمع وهاته فلسفة طبيعية متكونة في ذاتية الإنسان باستحضاره في عملياته التخاطبية للطرف الآخر، وبهذا تنتج في ذهنه قواعد إقناعية يمارسها.

4- الوسائل المتبعة في العملية الإقناعية:

المنهجية المتبعة أحيانا في الحجاج نستنبط بعض الطرق أو الوسائل التي يعتمد عليها المرسل لإقناع المرسل إليه (المتلقي) منها:

1-4- الإحالة:

من الركائز بحيث يستعملها الباحث في ضبط آرائه بحيث تعتبر من «العناصر المحلية كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها»¹⁵ لأن كل لغة لها ضوابط تحكمها إحالة معينة، لكس تحافظ على المعنى وتصبح مستعملة استعمالاً حجاجياً في تحديد الآراء والعناصر المرجو ضبطها.

2-4- الاستبدال:

وهو نشاط يعمل في ذهن المتلقي لتتم عملية الاتساق داخل النص إذا فهو «عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص آخر، ويعد الاستبدال شأنه شأن الإحالة، علاقة اتساق، إلا أنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى النحوي – المعجمي بين

كلمات أو عبارات ... من جهة أخرى، وسيلة أساسية تعتمد في اتساق النص. يستخلص من كونه ((عملية داخل النص)) أنه نصي،، على أن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية، أي علاقة بين عنصر متأخر وبين عنصر متقدم¹⁶ وعليه نجد أن الاستبدال له ضوابط نحوية يقوم بها المخاطب في العملية الإقناعية وهي من العناصر الأساسية في اتساق النص وصولاً إلى الرسالة المقصود إبلاغها.

3-4- الحذف:

متعلق بما قبله -الاستبدال- كونه عملية واقعة داخل النص «والحذف كعلاقة اتساق لا يختلف عن الاستبدال ... علاقة الاستبدال تترك أثراً، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثراً ولهذا فإن المستبدل يبقى مؤشراً يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلقه الاستبدال، بينما الأمر خلاف هذا في الحذف، إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء، ومن ثم تجد في الجملة الثانية فراغاً بنيوياً يهتدي القارئ إلى مثله اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى في النص السابق، بتعبير الباحثين¹⁷ الملاحظ من أن الحذف له الدور الفاعل في إيصال المعلومة إلى ذهن بأقل عدد من الملفوظات يستخدمها الباحث وفق منهجية خاصة به، ومعنى يريد إيصاله بطرق معينة وذلك حسب المقام الذي هو فيه بحجج ودلائل وبراهين يكون من ضمنها الحذف.

4-4- الوصل:

وعلى هذا الوصل له دلائل إضافية أو زمنية وحتى عكسية ذلك قصد إقناع المستمع ومراعاة مقتضى الحال «معنى هذا أن النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطياً، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص»¹⁸ هنا إشارة موجهة نحو العملية التواصلية بين جميع الأطراف الذهنية المتصلة فيما بينها وتوظيف جميع الروابط الممكنة والمتوفرة لدى المخاطب قصد الإقناع وإتمام الحجة.

إذن كل من الإحالة، الاستبدال، الحذف، والوصل هي وسائل تحقق الاتساق بين جمل النص، وإذا كانت الوسائل الثلاثة الأولى تحدث من داخل الجمل إلى داخل الجمل، يعني أنها تدخل في معنى النص، بالرغم من أن الحذف والاستبدال يحدثان على مستوى البنية والمعجم كذلك، فإن الوصل يحدث بين الجمل في الحدود وهذا يعني أنه يدخل في

بنية النص، وكل هذه العلاقات في مجملها تمثل الاتساق النحوي، فهو خادم للعملية الإقناعية.

5- الاتساق المعجمي:

وتكمن هذه العملية في إعادة اللفظ وجمع شملها مع الفكر لتحديد المعنى وتقوم هذه العملية على ركنين أساسيين هما:

5-1- التكرير:

فالتكرار هو تأكيد الفكرة بإعادة اللفظ أو العبارة من أجل تشويق أو إقناع المتلقي بفكرة معينة أي «هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً»¹⁹ وهذا لاتساق وانسجام معاني النص المراد الإقناع به.

5-2- التضام:

والمقصود من تعريف التضام «وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك»²⁰ أنه اجتماع شمل المعاني والأفكار والألفاظ في حجة معينة لإتمام العملية الإقناعية.

وواضح من هذا أن هناك آليات وعناصر يجب أن يعتمد عليها القارئ أو المتلقي في العملية الإقناعية والتوفيق فيما بينها ليتسق النص ويتضح.

وخلاصة القول الاتساق المعجمي مظهر من مظاهر اتساق النص يربط بين جملة بدون وصل أو إحالة، وإنما عبر العلاقات المعجمية القائمة بين مفردات النص ووحدات من جملة، ويحققها التكرار والتضام.

- الاتساق المعجمي بواسطة علاقة التكرار: ويتم بتكرار عنصر معجمي بعينه، أو بمرادفه، أو عنصر مطلق أو عام شامل له.
- الاتساق المعجمي بواسطة علاقة التضام: ويتم عبر توارد زوج من الكلمات ترتبط بعلاقة معجمية غير التكرار كالطباق، والجزئية، والكلية، والعموم، والخصوص، والترتيب، والمجاورة، وغيرها من العلاقات الممكنة بين مفردات النص ووحداته.

6- الحوار المعرفي للحجاج:

بما أن الحجاج يتصل بسبب وثيق بحقول معرفية متعددة، فإننا ملزمون بإدراك وضعية مفهوم الحجاج وعلاقته بحواره المعرفي القريب؛ بكل من التداولية واللسانيات، ثم بالبلاغة و الخطابة، التي يفترض أنها المؤهلة إلى توظيف الحجاج في أرقى صوره.

6-1- علاقة الحجاج بالتداولية واللسانيات:

بما أن الحجاج يعتبر ظاهرة متجسدة في الخطاب، وبه يتحقق فهو متلبس باللبسة لسانية، وأسلوبية، غير أن علاقة اللسانيات بالحجاج تثير تساؤلات كبرى و أبرز هذه التساؤلات هي: هل مقارنة الحجاج هي مهمة ملقاة على اللسانيات العامة أم على التداولية أم على الأسلوبية أم على البلاغة؟ وإذا كان النص الحجاجي هو "لسانيا" نص متميز عن باقي الأجناس النصية الأخرى، فهل نولي اهتمامنا لبنينته الحجاجية وعلاقتها الداخلية أم لقيمته وفعاليتها الحجاجية من خلال تفاعل ذاته أو ذواته مع محيطنا الخطابي.

اعتاد اللسانيون النظر إلى الخطاب اللفظي الحجاجي كخطاب يتوفر على خاصيات بنائية وبراغماتية تجعله مختلفا عن غيره من الخطابات: سردية، حكاية، إخبارية،... الخ.²¹

ولأن كان البعض يعتقد أن دراسة الحجاج في الخطاب اللفظي هو شأن التداولية فإن لهذا الاعتقاد ما يبرره إذ بالفعل نجد الخطاب الحجاجي يخضع ظاهريا و باطنيا لقواعد شروط القول والتلقي أي أن كل خطاب حجاجي تبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية وبالتالي، قيمة و مكانة أفعال الذوات متخاطبة هكذا ينتمي القول أو النص الحجاجي إلى مجال التداوليات.

وبالموازاة مع التناول التداولي للظاهرة الحجاجية هناك المقاربة اللسانية التلفظية لهذه الظاهرة، فالمقاربة اللسانية حاولت أن تعالج الحجاج كظاهرة لسانية نصية لا يمكن تفسيرها دون إبراز مراتب المتكلمين وأدوارهم في أفعال الكلام وبالإضافة إلى ذلك هناك الوقوف عند العناصر والروابط الحجاجية باعتبارها أدوات لسانية، ثم تشريح سلالمة الحجاج داخل المنطوقات والأقوال.

2-6 علاقة الحجاج بالبلاغة:

تعد نظرية الحجاج التي طورها "بيرلمان" Perelman (1966) و"تيتيكا" titica (1899-1987م) من أهم الطروح المنبثقة عما يعرف اليوم ببحوث البلاغة المعاصرة، وهي بحوث تهتم أساساً بأساليب إجراء اللغة.

وتنوعت الخطابات ومقاماته وطبائع الناس المعنيين بكل تلفظ معين، وقد فرض هذا الاهتمام المتنوع على أصحاب نظرية الحجاج التوسل في بحوثهم النظرية والتطبيقية بالكثير من الآليات المعتمدة من حقول معرفية مجاورة للبلاغة واللغة، لذا كان لمفهوم التداخل المعرفي دور أساسي في طرحهم، لأن أي عملية حجاجية ستتوسل حتماً باليات متعددة يتفاوت إدراكها والوعي بها من قبل المعنيين. كل هذه التقنيات الجديدة في علاقة المتكلمين بالمخاطبين، وبالمقام تعد من نتائج التظافر بين البلاغة والبحوث اللسانية المعاصرة التي أثبتت أن اللغة ليست أداة للتواصل فحسب إذ فيها تثوي أبعاد الوجود وحقائقه، كما أنها الأقدر على استيعاب المناهج الأميريكية والاستفادة من بحوثها التقنية في التعبير عن الراهن وربطه بالسالف واللاحق في آن.²² كما أكد التطور البلاغي المعاصر هذه الرؤية عندما أصبحت بلاغة الخطاب هي تأشيرة المرور إلى دوائر القراءة المثلى، مهما كان نوع النص أو جنسه، فمن وجهة النظر الكلاسيكية للبلاغة لها سبعة ملامح أساسية هي:

- 1- الإقناع: أي إبداء الاتفاق.
 - 2- الإعجاب، الإغراء، أو التلاعب والتبرير.
 - 3- تمرير الرأي بحجج متينة.
 - 4- اقتراح الضمني من خلال الصريح.
 - 5- تأسيس المعنى المجازي على المعنى الظاهري.
 - 6- استعمال اللغة المجازية والأسلوبية والأدبية.
 - 7- اكتشاف نوايا المتكلم أو الكاتب ومنحها حجمها اللائق بها²³
- لكن التطور الذي حصل في مناهج الدرس اللغوي للدارسين يلائم راهن الخطابات والنصوص، ومن أهم ما تتقاطع فيه هذه الدراسات المعاصرة هو اعتبار البلاغة دراسة للخطاب ولتقنيات الإقناع والتلاعب بالذوات، ولتحقيق هذه الأغراض لابد لها من حجاج، ذلك أن الأقسام الأربعة للبلاغة هي: طرح السؤال، سرده، بنائه، حججه، ومطابقتها مع السؤال²⁴ ..

—بيرلمان - perelman يطابق بين البلاغة والحجاج، عادة كل مكونات الأسلوبية الموجودة في رسالة ما (مكتوبة أو مقروءة، أو مشاهدة أو حتى إشارية) مستويات معينة من مستويات الحجاج، بما في ذلك التضمنين والشواهد والأمثلة حتى السخرية والمفارقة هي عبارة عن (...حجة في ذاتها) وكذلك الاستعارة، إنها استدلال قائم على المقايضة المكثفة ... وبالمثل فالبلاغة لم تعد لباسا خارجيا للحجاج بل إنها لتنتهي لبنيتها الخاصة²⁵

ومن العلامات البارزة في تاريخ الحجاج هناك فكرة تهيمن حمل مجمل الحجاج في جميع مراحل التاريخ، عادة ما تتم معارضة الاستدلال الصارم (من النمط الرياضي أو المقتبس من المنطق الصوري) بالحجاج الذي يقترب من الديالكتيك و البلاغة أي إلى الخطاب، وقد عانى الحجاج من تقابله للبرهنة التي تستفيد من الميزة العلمية، المقترنة بمعالجة ما له صلة بالحققي، بالصحيح، بالحجة، بالمنطق، لأن هذه المقارنة تضع الحجاج في الجهة السيئة من القطيعة الفاصلة بين عقلية الدهاء والعقلية الهندسية، بين الرأي والعلم، بين الممارسة والنظرية، بين المحتمل و الحقيقي، بين الإقناع والبداهة، وفي هذه الحال يجد الحجاج صعوبة من التخلص من دلالة تاريخية ذات طابع قديم طاغ.

منذ العصور القديمة، جرى التمييز بين البرهنة والحجاج، ويعود جوهر الاختلاف إلى أن الحجاج يقتضي تفاعل الذوات، البرهنة تنفي الذات، وبالتالي فهي صارمة لأنها بمنأى عن جميع تأثيرات اللغة، والعواطف، وبمنأى عن ظروف المكان والزمان التي يستعمل فيهما، وإجمالا بمنأى عن دور المستمع والخطيب.

لقد كان مفهوم الحجاج مستخدما لدى جميع فلاسفة العصور القديمة لتحليل فن الحوار "الديالكتيك" وفن الكلام "البلاغة"، وهكذا فإننا نجد الحجاج موظفا حيثما عمد الفكر إلى المضاربة، وقد أثرت بقوة على حياة مفهوم الحجاج التقلبات التي عرفت عبر التاريخ معاني الديالكتيك و البلاغة، ليعاني بالتالي من القربة التي تجمعها مع هذين المفهومين غير المفصلين أو غير المحددين بصورة جيدة²⁶

الخطاب الحجاجي ميدان ثري للدراسات المتنوعة، وذلك لغناه التكويني ولتعدد الأبعاد التي ينطوي عليها. الحجاج هو ممارسة لفظية اجتماعية، عقلية تهدف إلى تقديم نقد معقول حول مقبولية الموقف بصياغة مجموعة تراكمية من القضايا التي تبرز الدعوى المعبر عنها في الموقف، أو تدحضها²⁷.

6-3- أساليب الحجاج في البلاغة العربية:

أصبحت البلاغة ترتبط، وفق التصور الحجاجي للعديد من البلاغيين العرب، بالإقناع، فهي لم تعد محصورة في دائرة التدبيح والتحسين والزخرفة، وإنما صارت، وفق هؤلاء البلاغيين، حدثاً مقامياً لا تهمه إلا النجاعة الإقناعية للكلام، وإبراز مقصدية وفعاليته.

مما نستند في هذا المقتطف هو حجاجية الاستعارة في الدراسات العربية المعاصرة، ينهي طه عبد الرحمان في دراسته الاستعارة بين الحساب المنطق ونظرية الحجاج (حساب الاستعارة حساب منطقياً، لا يفيدنا كثيراً في تبين خصائصها). لأن المبادئ التي يستند إليها الحساب المنطقي الاستعارة (تصادم الحقيقة الاستعارية، ولا تصح إلا بإخراج الأقوال عن وصفها المجازي وإلباسها إلباس الحقيقة) فالاستعارة خرق للمبادئ المنطقية مما يجعل وصفها وتحليلها يقتضي استخدام أدوات حجاجية تخاطبية تقرر بالتعارض مبدأً.

"وعبد القادر الجرجاني هو أول من استخدم أدوات حجاجية لوصف الاستعارة وهو الذي أدخل مفهوم الادعاء بمقتضياته التداولية الثلاثة : التقرير والتحقيق والتدليل ، كما استفاد في ثنايا أبحاثه بمفهوم التعارض من غير أن يطرحه طرحاً إجرائياً صريحاً. وقيمة الوصف التعارض الاستعارة تعود في نظر طه عبد الرحمان إلى أنه يكشف عن آليات حوارية وحجاجية وعملية في بنيتها يجعلها مركبة المستويات و متداخلة الذوات و متنوعة العلاقات."²⁸

7- خاتمة:

وفي الختام نستنتج أن:

الحجاج من العناصر الأساسية للآليات المتوفرة فيه فينبغي التركيز عليها في إنجاز العملية الإقناعية وتطبيقها في تأصيل المعارف والعلوم وإبراز الرأي منتجاً بذلك قاعدة فكرية مضبوطة، فالحجاج له دور كبير في تحديد المقصدية سواء كانت هذه المقاصد دلالية أو بلاغية ففيها تجليات تراثية بارزة لأنها هي نواة في تأسيسه إضافة إلى ذلك أن هاته الآليات دائمة التطور والازدهار.

فيعد الحجاج أولوية خطابية تمارس مع الآخرين، دفاعاً عن أفكاره، ومعتقداته، عارضاً أو مفنداً، محاوراً أو مقنعاً. إنه فعل علائقي يبرر به صاحبه أنماط أفعاله، بالحجة والبرهان، بشكل طبيعي، أو بتعامل فعال، عبر شبكة من الأقوال أو التعابير الحاملة لصورة

حجاجية، تستجيب لأهداف تأثيرية انجازيه في المخاطبين أفراداً أو جماعات. إلا أن الحجاج، في معظمه، لا يتم إلا باللغة أو الخطاب، أو داخلهما معاً، ما يكسب الحجاج بعداً تلفظياً استدلالياً، تنتهي عناصره الحية المتفاعلة إلى المجال التداولي، بحكم متغيراته وأفاقه، و كلما تباينت أنماط الحجاج وتواجهاتها المعرفية والأدائية، كلما تبين في الوقت نفسه عناصر المجال التداولي المستمر، وتخصصت زوايا النقاط الأثر التداولي منها و تقويماً.

مراجع البحث وإحالاته:

- 1- أب البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، قابله على نسخة خطية وأعدده للطبع ووضع فهارسه: عدنان، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، 1419هـ، 1998م، ص: 360.
- 2- المرجع نفسه، ص: 360
- 3- نفسه، ص: 360.
- 4- محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1405هـ، 1985م، ص: 61.
- 5- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د ، ط)، (د ، ت)، مج/2، ص: 226.
- 6- محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص: 61.
- 7- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص: 406.
- 8- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانية، تونس، منوبة، (الجمهورية التونسية)، ط1، 2001م، ط2 2007م، ص: 8.
- 9- عبد الرحمن حسن، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي، جنكة الميدان، دار القلم، دمشق، ط4، 1414هـ، 1993م، ص: 149.
- 10- محمد سالم محمد الأمين الطلية، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008م، ط1، 2008م، ص: 110.
- 11- إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الاجتماعي ودوره في التفاعل الاجتماعي، مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص: 189، نقلاً عن: الإقناع والتأثير، إبراهيم بن صالح الحميدان، 2010 ص: 4.

- 12- صابر الجباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية، الإصدار الأول، 2008م، ص: 68.
- 13- المرجع نفسه، ص: 68.
- 14- نفسه، ص: 70.
- 15- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص: 16-17.
- 16- المرجع نفسه، ص: 16-17.
- 17- نفسه، ص: 16-17.
- 18- نفسه، ص: 16-17.
- 19- نفسه، ص: 16-17.
- 20- نفسه، ص: 16-17.
- 21- ينظر: حبيب عراب، الحجاج مفهومه و مجالاته (نصوص مترجمة)، عالم الكتاب الجديد، الأردن، 2010. ج3 ص34.
- 22- ينظر: سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج مفهومه و مجالاته (نصوص مترجمة) عالم الكتاب الجديد، الأردن، 2010. ج2 ص176.
- 23- ينظر: عز الدين الخطابي، إدريس كثير بلاغة السؤال، مجلة علامات في النقد، يونيو، عدد: 2، 1998. ص354.
- 24- ينظر: أوليفي روبول، هل يمكن ان يوجد حجاج غير بلاغي، تر: محمد العمري، مجلة علامات في النقد، ديسمبر، 1999، عدد: 3. ص77.
- 25- ينظر: شاييم بيرلمان وأوليفيت تيتيكا، الحجاج مفهومه و مجالاته (نصوص مترجمة)، عالم الكتاب الجديد، الأردن، 2010. ج5 ص67.
- 26- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، الحجاج مفهومه و مجالاته (نصوص مترجمة)، عالم الكتاب الجديد، الأردن، 2010. ج1 ص76.
- 27- طه عبد الرحمان، الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، مجلة المناظرة، عدد: 4، ماي، 1994 ص70.
- 28- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص: 16-17.

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم رواية ورش عن نافع.

- 1- أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، قبله على نسخة خطية وأعدده للطبع ووضع فهرسه: عدنان، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، 1419هـ، 1998م.
- إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الاجتماعي ودوره في التفاعل الاجتماعي، مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- إبراهيم بن صالح الحميدان، الإقناع والتأثير، 2010م.
- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د، ط)، (د، ت).
- أوليفي روبول، تر: محمد العمري، هل يمكن ان يوجد حجاج غير بلاغي، مجلة علامات في النقد، ديسمبر، عدد: 3، 1999.
- حبيب عراب، الحجاج مفهومه ومجالاته (نصوص مترجمة)، عالم الكتاب الجديد، الأردن، 2010.
- ج3.
- سالم محمد الامين الطلبة، الحجاج مفهومه ومجالاته (نصوص مترجمة) عالم الكتاب الجديد، الأردن، 2010. ج2
- شايم بيرلمان وأوليفيت تيتيكا، الحجاج مفهومه و مجالاته (نصوص مترجمة)، عالم الكتاب الجديد، الأردن، 2010.
- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية، الإصدار الأول، 2008م.
- طه عبد الرحمان، الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، مجلة المناظرة، عدد: 4، ماي، 1994
- عبد الرحمن حسن، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي، جنكة الميدان، دار القلم، دمشق، ط4، 1414هـ، 1993م.
- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانية، تونس، منوبة، (الجمهورية التونسية)، ط1، 2001م، ط2 2007م.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، الحجاج مفهومه و مجالاته (نصوص مترجمة)، عالم الكتاب الجديد، الأردن، 2010.
- عز الدين الخطابي، إدريس كثير بلاغة السؤال، مجلة علامات في النقد، يونيو، عدد: 2، 1998.

محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م.

محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008م، ط1، 2008م.

محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1405هـ، 1985م.